

فأله تبارك وتعالى أنزل القرآن هاديا للحق والخير والهدى والساد؛ فمن آمن به هدي ووفق وسدد، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]؛ قال الشيخ الشنقيطي: ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا فِي هَذِهِ آيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَآخِرُهَا عَهْدًا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ جَلَّ وَعَلَا، وَمَا كَانَ هَذَا وَصْفَهُ وَجِبَ الْإِيمَانَ بِهِ كُلَّهُ وَاتِّبَاعَهُ، وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى أُولَى الْأَبَابِ مِنْ عِبَادِهِ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَتَوَسَّلُونَ إِلَيْهِ وَيَدْعُونَهُ بِمَسَارِعَتِهِمْ فِي الِاسْتِجَابَةِ لِمَنَادِي الْإِيمَانِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَتَأْمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٣]؛ وهذا التوسل منهم باستجابتهم وإيمانهم دال أنه عمل صالح. وقد أثنى الله تعالى على نفر من الجن الذين استمعوا لقراءة النبي ﷺ فسارعوا بالإيمان، قال تعالى: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَتَأْمَنَّا بِهِ وَلَنْ نَشْرَكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١-٢] وفي المقابل تجد أن الله تعالى ذم الذين لديهم إيمان جزئي بالكتاب وتوعدهم بالعذاب في الدنيا والآخرة فقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٢-٥٣]؛ أثنى الله تبارك وتعالى على نفر من أهل الكتاب سارعوا للإيمان بالقرآن لما تلى عليهم؛ وكان منشأ الإيمان به عندهم أنه حق نزل من عند الله تعالى، فكان جزاؤهم أن آتاهم الله أجرهم مرتين؛ وفي هذا بيان لعظم المسارعة في الإيمان بالقرآن، وفيها أن الإيمان بالقرآن من المقاصد الكبرى لتلاوته. ولهذا كان من صفة المؤمنين أنهم ﴿إِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]؛ فتلاوة القرآن تورث إيمانا ويقينا. والتاريخ شاهد على تخبط كثير من الناس راموا الهدى بعيدا عن القرآن؛ نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَوَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ وَحَاصِلُ دُنْيَانَا أَدَىٰ وَوَبَالَ وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْنِنَا طُولَ عُمْرِنَا فَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوَلَةٍ وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا سِوَىٰ أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قَبِيلٌ وَقَالُوا فَبَادُوا جَمِيعًا مُسْرِعِينَ وَزَالُوا رِجَالٌ فزَالُوا وَالْجِبَالُ جِبَالٌ لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطَّرِيقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَالِيًا،